بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني: لقد أظلَّنا شهرٌ كريم، وموسمٌ عظيم، يُعَظِّمُ اللهُ فيه الأجر ويُجزِلُ المواهبَ، ويَفْتَحُ أبوابَ الخيرِ فيه لكلِ راغب، شَهْرُ الخَيْرات والبركات، شَهْرُ المَنح والْهِبَات، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[البقرة ١٨٥]

شهرٌ مَحْفُوفٌ بالرحمة والمغفرة والعتقِ من النار، أوَّلُه رحمة، وأوْسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عتق من النار، اشْتَهرت بفضله الأخبار، وتَوَاتَرَت فيه الآثار، ففِي الصحيحَيْنِ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «إذَا جاءَ رمضانُ فُتِّحَت أبوابُ الجنَّة، وغُلِّقَتْ أبوابُ النار، وصُفِّدت الشَّياطينُ». وإنما تُفَتَّحُ أبوابُ الجنة في هذا الشهر لكَثْرَة الأعمالِ الصَالحَة وتَرْغِيباً للعَاملينْ، وتُغَلَّقُ أبواب النار لقلَّة المعاصي من أهلِ الإيْمان، وتُصفَّدُ الشياطينُ فتُغَلُّ فلا يَخلُصون إلى ما يَخلُصون إليه في غيره.وَرَوَى الإمامُ أحمدُ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم قال: «أُعْطِيَتْ أمتَّي خمسَ خصَال في رمضانَ لم تُعْطهُنَّ أمَّةٌ من الأمَم قَبْلَها؛ خلُوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسْك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتى يُفطروا، ويُزيِّنُ اللهُ كلَّ يوم جَنته ويقول: يُوشك عبادي الصالحون أن يُلْقُواْ عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، وتُصفَّد فيه مَردةُ الشياطين فلا يخلُصون إلى ما كانوا يخلُصون إليه في غيره، ويُغْفَرُ لهم في آخر ليلة، قِيْلَ يا رسول الله أهِيَ ليلةُ القَدْرِ؟ قال: لاَ ولكنَّ العاملَ إنما يُوفَّى أجْرَهُ إذا قضى

عمَلَه ».

إخواني: هذه الخصالُ الخَمسُ ادّخَرَها الله لكم، وخصَّكم بها مجالس شهر رمضان منْ بين سائر الأمم، وَمنَّ عليكم ليُتمِّمَ بها عليكُمُ النِّعَم، وكم لله عليكم منْ نعم وفضائلَ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[آل عمران: ١١٠].

الخَصْلَةُ الأولى:أن خُلوفَ فَمِ الصائم أطيبُ عند الله منْ ريح المسك [رواه البخاري ومسلم بدون تخصيص بهذه الأمة]، والخلوف بضم الخاء أوْ فَتْحها تَغَيُّرُ رائحة الفَم عندَ خُلُوِّ الْمَعدَة من الطعام. وهي رائحةٌ مستَكْرَهَةٌ عندَ النَّاس لَكنَّها عندَ الله أطيبُ من رائحَة المسْك لأنَها نَاشئَةٌ عن عبادة الله وَطَاعَته. وكُلُّ ما نَشأَ عن عبادته وطاعته فهو محبوبٌ عنْدَه سُبحانه يُعوِّضُ عنه صاحبَه ما هو خيرٌ وأَفْضَلُ وأطيبُ. ألا تَرَوْنَ إلى الشهيد الذي قُتلَ في سبيلِ الله يُريدأنْ تكونَ كَلمةُ الله هي الْعُلْيا يأتي يوم الْقيامَة وَجرحُه يَثْعبُ دماً لَوْنُه لونُ الدَّم وريحُهُ ريحُ المسك؟ وفي الحَجِّ يُباهي اللهُ الملائكة بأهْل المَوْقف فيقولُ سبحانَه: «انْظُرُوا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شُعْثاً غُبْراً». رواه أحمد وابن حبَّان في صحيحه[صحيح بشواهده]، وإنما كانَ الشَّعَثُ محبوباً إلى الله في هذا الْمَوْطنِ لأنه ناشأُ عَن طاعة الله باجتناب مَحْظُورات الإحْرام وترك التَّرَفُّه.

الخَصْلَةُ الثانيةُ: أن الملائكة تستغفرُ لَهُمْ حتَّى يُفْطِروا. وَالملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُون عند الله ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحرم: ٦].

فهم جديرون بأن يستجيب الله دعاءهم للصائمين حيث أذنَ لهم به. وإنما أذن الله لهم بالاستغفار للصائمين منْ هذه الأُمَّة تَنْويهاً بشأنهم، ورفْعَةً لذكْرِهِمْ، وَبياناً لفضيلة صَوْمهم، والاستغفارُ: طلبُ الْمغفرَة وهي سَتْرُ الذنوب في الدُّنْيَا والآخرة والتجاوزُ عنها. وهي من أعْلَى المطالب وأسْمَى الغَايات فكلُّ بني آدم خطاؤون مُسْرِفونَ على أنفسهمْ مُضْطَرُّونَ إلى مغفرة الله عَزَّ وَجَل.

الخَصْلَةُ الثالثةُ:

أن الله يُزَيِّنُ كلَّ يوم جنَّتَهُ ويَقول: «يُوْشكُ عبادي الصالحون أن يُلْقوا عنهُمُ المَؤُونة والأَذَى ويصيروا إليك» يُزَيِّن تعالى جنته كلَّ يومٍ تَهْيِئَةً لعبادِه الصالحين، وترغيباً لهم في الوصول إليهَا، ويقولُ سبحانَه: «يوْشِك عبادي الصالحون أنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ المؤونةُ والأَذَى» يعني: مؤونَة الدُّنْيَا وتَعَبها وأذاهَا ويُشَمِّرُوا إلى الأعْمَال الصالحة الَّتي فيها سعادتُهم في الدُّنْيَا والآخرة والوُصُولُ إلى دار السَّلاَمِ والْكَرامة.

الخَصْلَةُ الرابعة:

أن مَرَدَةَ الشياطين يُصَفَّدُون بالسَّلاسل[رواه البخاري ومسلم بلفظ: صفدت الشياطين] والأَغْلاَلِ فلا يَصِلُون إلَى ما يُريدونَ من عباد الله الصالحين من الإضلاَل عن الحق، والتَّثبيط عن الخَيْر. وهَذَا منْ مَعُونة الله لهم أنْ حَبس عنهم عَدُوَّهُمْ الَّذي يَدْعو حزْبَه ليكونوا منْ أصحاب السَّعير. ولَذلكَ تَجدُ عنْدَ الصالحين من الرَّغْبة في الخَيْر والعُزُوف عَن الشَّرِّ في هذا الشهرِ أكثَر من غيره.

الخَصْلَةُ الخامسة:

أن الله يغفرُ لأمة محمد صلى الله عليه وسلّم في آخرِ ليلة منْ هذا الشهر[روى نحوه البيهقي من حديث جابر] إذا قاموا بما يَنْبَغي أن يقومُوا به في هذا الشهر المباركِ من الصيام والقيام تفضُّلاً منه سبحانه بتَوْفِيَةِ أجورِهم عند انتهاء أعمالِهم فإن العاملَ يُوَفَّى أجْرَه عند انتهاءِ عمله.

وَقَدْ تَفَضَّلَ سبحانه على عباده بهذا الأجْرِ مِنْ وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أنَّه شَرَعَ لهم من الأعْمال الصالحة ما يكون سَبَباً لمغفرة ذنوبهِمْ ورفْعَة درجاتِهم. وَلَوْلاَ أنَّه شرعَ ذلك ما كان لَهُمْ أَن يَتَعَبَّدُوا لله بها. فالعبادةُ لا تؤخذُ إلاَّ من وحي الله إلى رُسُله. ولذَلكَ أَنْكَرَ الله على مَنْ يُشَرِّعُونَ مِنْ دُونه، وجعَلَ ذَلكَ نوْعاً مِنْ الشِّرْك، فَقَالَ سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى: ٢١].

الوجه الثاني: أنَّه وفَّقَهُمْ للعملِ الصالح وقد تَرَكَهُ كثيرٌ من النَّاسِ. ولَوْلا مَعُونَةُ الله لَهُمْ وتوفيقُه ما قاموا به. فللَّه الفَضْلُ والمنَّة بذلك.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧].

الوجه الثالث: أنَّه تفضَّلَ بالأجرِ الكثيرِ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرة. فالفَضلُ مِنَ الله بالعَمَلِ والثَّوَابِ عليه. والحمدُ لله ربِّ العالَمين.

إخْوانِي: بُلُوغُ رمضانَ نعمةٌ كبيرةٌ عَلَى مَنْ بَلَغهُ وقامَ بحقِّه بالرُّجوعِ إلى ربه من مَعْصِيته إلى طاعته، ومِنْ الغَفْلةِ عنه إلى ذكْرِه، ومِنَ البُعْدِ عنه إلى الإنَابةِ إِلَيْه.

يا ذَا الَّذِي مَا كفاهُ الذَّنْبُ في رَجبٍ
حَتَّى عَصَى ربَّهُ في شهرِ شعبانِ
لَقَدْ أظَلَّكَ شهرُ الصَّومِ بَعْدَهُمَا
فَلاَ تُصَيِّرْهُ أَيْضاً شَهْـرَ عِصْيانِ
وَاتْلُ القُرآنَ وَسَبِّـحْ فيه مجتَهِداً
فـإنـه شَهْـرُ تسبيحٍ وقُـرْآنِ
كَمْ كنتَ تعرِف مِّمنْ صَامَ في سَلَفٍ
مِنْ بين أهلٍ وجيرانٍ وإخْـوَانِ
أفْنَـاهُمُ الموتُ واستَبْقَـاكَ بَعْدَهمو
حَيّاً فَمَا أقْرَبَ القاصِي من الداني

اللَّهُمَّ أيقظنَا من رَقَدَاتِ الغفلة، ووفقْنا للتَّزود من التَّقْوَى قَبْلَ النُّقْلَة، وارزقْنَا اغْتِنَام الأوقات في ذي المُهْلَة، واغْفِر لَنَا ولوَالدينا ولجَميع المسلمين برَحْمتك يا أرحم الراحمين. وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين.

المجلس الأول

من مجالس شهر رمضان

سلسلة المطويات الدعوية

25

فضل شهر رمضان

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

شبكة البينة السلفية